

﴿وَأَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [هود: 115]

❖ مُنَاسَبَةُ الْآيَةِ لِمَا قَبْلَهَا:

"مُنَاسَبَةُ وَقُوعِ الْأَمْرِ بِالصَّبْرِ عَقِبَ الْأَمْرِ بِالِاسْتِقَامَةِ وَالنَّهْيِ عَنِ الرُّكُونِ إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا، أَنَّ الْمَأْمُورَاتِ لَا تَخْلُو عَنْ مَشَقَّةٍ عَظِيمَةٍ، وَمُخَالَفَةِ لِهَوَى كَثِيرٍ مِنَ النُّفُوسِ، فَنَاسَبَ أَنْ يَكُونَ الْأَمْرُ بِالصَّبْرِ بَعْدَ ذَلِكَ، لِيَكُونَ الصَّبْرُ عَلَى الْجَمِيعِ، كُلُّ بِمَا يُنَاسِبُهُ"⁽¹⁾. وَلَمَّا كَانَتْ النَّفْسُ - لِمَا لَهَا مِنَ الْجَزَعِ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَحْوَالِ - كَالْمُنْكَرَةِ، أَكَّدَ قَوْلَهُ: ﴿فَإِنَّ﴾ الصَّبْرَ هُوَ الْإِحْسَانُ كُلُّ الْإِحْسَانِ⁽²⁾.

❖ شَرْحُ الْمَفْرَدَاتِ:

(1) ﴿يُضِيعُ﴾: (الضَّادُّ وَالْيَاءُ وَالْعَيْنُ) أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى قَوْتِ الشَّيْءِ وَذَهَابِهِ وَهَلَاكِهِ⁽³⁾. يُقَالُ: ضَاعَ الشَّيْءُ، يَضِيعُ ضِيعًا وَضِيعًا - بِكَسْرِ الضَّادِ وَفَتْحِهَا - أَي: هَلَكَ⁽⁴⁾.

❖ الْمَغْنَى الْإِجْمَالِي:

الآية توطئ للنفوس على احتمال المشقة في سبيل ما أمر به الله تعالى، وما نهى عنه في هذه الوصايا وفي غيرها، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا، بَلْ يُؤَفِّقُهُ ثَوَابَ عَمَلِهِ مِنْ غَيْرِ بَخْسٍ لَهُ. وَفِي الْآيَةِ إِيمَاءٌ إِلَى أَنَّ الصَّبْرَ مِنْ بَابِ الْإِحْسَانِ⁽⁵⁾.

❖ الْإِيضَاحُ اللَّغَوِيُّ وَالبَلَاغِيُّ:

توجيه العطف بالواو:

الواو في قوله تعالى: ﴿وَأَصْبِرْ﴾ عَطْفٌ عَلَى جُمْلَةٍ: ﴿فَلَا تَكُ فِي

الرَّبِّط بَيْنَ
إِقَامَةِ الصَّلَاةِ
وَالصَّبْرِ؛ لِأَنَّ
لِلْمَأْمُورَاتِ لَا تَخْلُو
مِنَ الْمَشَقَّاتِ

الصَّبْرُ مِنْ وَجْهِهِ
الْإِحْسَانِ، وَهُوَ
مِفْتَاحُ الشَّدَائِدِ

العطف في
البيان عَمَّا يُتَّبَعُ
العزائم على
الحق، ويُبرِّز
رَمَزِيَّةَ الصَّبْرِ
وُخْصُوصِيَّتَهُ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 12/182.

(2) البقاعي، نظم الدرر، 9/396.

(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: 3/380.

(4) الزاوي، مختار الصحاح، ص: 186.

(5) الراعي، تفسير الراعي: 12/95.

مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ هَتُولَاءُ ﴿الآيَاتِ، لِأَنَّهَا سَيَقَتْ مَسَاقَ التَّثْبِيتِ مِنْ جَرَاءِ تَأْخِيرِ عِقَابِ الَّذِينَ كَذَّبُوا﴾⁽¹⁾، ثُمَّ كَرَّرَ إِلَى التَّذْكِيرِ بِالصَّبْرِ، بَعْدَمَا جَاءَ بِمَا هُوَ خَاتِمَةٌ لِلتَّذْكِيرِ، وَهَذَا الْكُرُورُ لِفَضْلِ خُصُوصِيَّةِ وَمَرْيَةِ وَتَنْبِيهِ عَلَى مَكَانِ الصَّبْرِ وَمَحَلِّهِ، كَأَنَّهُ قَالَ: وَعَلَيْكَ بِمَا هُوَ أَهَمُّ مِمَّا ذُكِّرَتْ بِهِ، وَأَحَقُّ بِالتَّوَصُّيَةِ. وَهُوَ الصَّبْرُ عَلَى امْتِثَالِ مَا أُمِرْتَ بِهِ، وَالِانْتِهَاءُ عَمَّا نَهَيْتَ عَنْهُ، فَلَا يَتِمُّ شَيْءٌ مِنْهُ إِلَّا بِهِ⁽²⁾.

مناسبة وقوع الأمر بالصبر عقب الاستقامة:

لَمَّا كَانَتْ الْمَأْمُورَاتُ لَا تَخْلُو عَنْ مَشَقَّةٍ عَظِيمَةٍ، كَانَ الصَّبْرُ لِلَّهِ عَلَى الْمَكَارِهِ أَعْلَى الطَّاعَةِ؛ فَاتَّبَعَ ذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿وَأَصْبِرْ﴾ عَلَى مَا أُمِرْتَ بِهِ مِنَ الْإِسْتِقَامَةِ وَعَدَمِ الطُّغْيَانِ وَالرُّكُودِ إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا، أَيْ: لِيَكُنْ مِنْكَ صَبْرٌ عَلَى الطَّاعَاتِ وَعَنِ الْمَعَاصِي، وَلَا تَتْرَكَ إِذَا زَارَهُمْ بِمَا أُمِرْتَ بِهِ مَهْمَا كَانَ، وَلَا تَخَفُهُمْ، فَإِنَّ الْعَاقِبَةَ لَكَ إِذَا فَعَلْتَ⁽³⁾.

دلالة الأمر للوجه إلى الرسول:

"تَوَجَّيْهِهِ الْخُطَابَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ تَنْوِيهٌ بِهِ، وَالْمَقْصُودُ هُوَ وَأُمَّتُهُ، بِقَرِينَةِ التَّعْلِيلِ بِقَوْلِهِ: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾، لِمَا فِيهِ مِنَ الْعُمُومِ وَالتَّفَرُّعِ الْمُقْتَضِي جَمْعَهُمَا، وَأَنَّ الصَّبْرَ مِنْ حَسَنَاتِ الْمُحْسِنِينَ"⁽⁴⁾.

دلالة فاء التفرُّع:

أُورِدَ الْخُطَابُ فَاءَ التَّفَرُّعِ فِي قَوْلِهِ ﷺ: ﴿وَأَصْبِرْ﴾؛ لِلدَّلَالَةِ عَلَيْهِ، وَعَلَى أُمَّتِهِ بِجُمْلَةِ التَّعْلِيلِ: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾؛ وَإِلَّا لَمَا كَانَ لِلتَّفَرُّعِ مَوْقِعٌ⁽⁵⁾.

تحرير التلازم
غير المنفك قصداً
بين الاستقامة
والصبر

خاصية التنويه
بالمقام للحمدي،
ومن سلك
مسالكه ﷺ من
أُمَّتِهِ

تشريك أمة
محمد ﷺ، في
فضل التنويه

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 12/182.

(2) الزمخشري، الكشاف: 2/436.

(3) البقاعي، نظم الدرر: 9/396.

(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 24/170.

(5) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 24/170.

بلادة التوكيد بـ (إِنَّ):

وَحَرَفُ التَّأْكِيدِ (إِنَّ) فِي قَوْلِهِ ﷻ: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾
مَجْلُوبٌ لِلْإِهْتِمَامِ بِالْخَبَرِ⁽¹⁾، وَالْعَنَايَةِ بِهِ لِعُلُوِّ مَقَامِ الْمُحْسِنِينَ.

توجيه إظهار اسمه الأعظم:

إِظْهَارُ الْأَسْمِ الْجَلِيلِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ
الْمُحْسِنِينَ﴾؛ لَكُونِهِ خَاتَمَةَ الْغَايَاتِ، وَإِظْهَارِ كَمَالِ الْعَنَايَةِ بِشَأْنِ
الْمُحْسِنِينَ، تَوْفِيَةً لِأَجْوَرِهِمْ.

بلادة جملة النفي بـ (لَا):

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ﴾، نَفْيُ الْإِضَاعَةِ؛ بَيَانًا
لِكَمَالِ نَزَاهَتِهِ تَعَالَى عَنْ حِرْمَانِهِمْ شَيْئًا مِنْ ثَوَابِهِمْ⁽²⁾. مَعَ أَنَّ عَدَمَ
إِعْطَاءِ الْأَجْرِ لَيْسَ بِإِضَاعَةٍ حَقِيقَةً، كَيْفَ لَا، وَالْأَعْمَالُ غَيْرُ مُوجِبَةٍ
لِلثَّوَابِ، حَتَّى يَلْزَمَ مَنْ تَخَلَّفَ عَنْهَا ضِيَاعُهَا؛ لِبَيَانِ كَمَالِ نَزَاهَتِهِ
تَعَالَى عَنْ ذَلِكَ، بِتَصْوِيرِهِ بِصُورَةٍ مَا يَمْتَنِعُ صُدُورُهُ مِنْهُ سُبْحَانَهُ
مَنْ الْقَبَائِحِ، وَإِبْرَارًا لِلْإِثَابَةِ فِي مَعْرِضِ الْأُمُورِ الْوَاجِبَةِ، وَهُوَ تَعْلِيلُ
لِلْأَمْرِ بِالصَّبْرِ⁽³⁾.

علة التعبير عن فعل الإضاعة مضارعًا:

عَبَّرَ اللَّهُ تَعَالَى بِالْفِعْلِ: ﴿يُضِيعُ﴾ بِصِيغَةِ الْمَضَارِعِ؛ لِإِفَادَةِ التَّجَدُّدِ
والتَّكْرَارِ وَالِاسْتِمْرَارِيَّةِ، فَمَا دَامَ الْمُحْسِنُ مُحْسِنًا، مُوَظِّلًا عَلَى
الْإِحْسَانِ، دَائِبًا عَلَيْهِ؛ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَهُ.

ثَكَّةُ التَّعْبِيرِ عَنِ الثَّوَابِ بِالْأَجْرِ:

سُمِّيَ الثَّوَابُ أَجْرًا لِوُقُوعِهِ جَزَاءً عَلَى الْأَعْمَالِ، وَمَوْعُودًا بِهِ،
فَأَشْبَهَ الْأَجَرَ⁽⁴⁾، مِنْ حَيْثُ الْإِسْتِحْقَاقُ لَهُ.

تأكيد تشريك
الأمة في جملة
الفضائل

تجلية الوفاء
بالوعد،
وتأكيدًا بإظهار
الاسم الأعظم

نفي إضاعة
الأجور، لوجود
ما يقتضي

ترديد توفية
الأجور، ما تردّد
فعل للمحسنين

تعليق الثواب
بما هو معهود
لأدّمين، رعيًا
لحظوظهم

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 24/170.

(2) الألوسي، روح المعاني: 6/353.

(3) الهري، حقائق الرّوح والزيّحان: 13/268.

(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 24/170.

فائدة العدول من المضمَر إلى المظهر:

عدل من المضمَر (أجرهم)، إلى المظهر ﴿الْمُحْسِنِينَ﴾؛ ليكون كالبرهان على المقصود، ودليلاً على أَنَّ الصَّلَاةَ والصَّبْرَ إحساناً، وإيماءً بأنه لا يُعْتَدَّ بهما دون الإخلاص، ولمَّح به إلى قوله ﷺ: «الإحسانُ: أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك»⁽¹⁾، والعدول عن المضمَر ليكون كالبرهان على المقصود، أي: الأصل المضمَر، وهو (أجرهم)، لكن عدل عنه ليكون برهاناً، أي: دليلاً جلياً، أي: سبب عدم إضاعة أجرهم كونهم محسنين؛ إذ الحكم على المُشْتَق يُفيد عِلِّيَّةَ مأخذ الاشتقاق⁽²⁾.

وجه تعريف ﴿الْمُحْسِنِينَ﴾:

تحرير وجه البلاغة في تعريف ﴿الْمُحْسِنِينَ﴾؛ لبيان علو كعبهم في وصف الإحسان، بحيث إنهم يعبدون الله كأنهم يرونه، فذلك يهون عليهم الصَّبْر⁽³⁾.

سرُّ التعبير باسم الفاعل للمجموع:

بيان ذلك: أنَّ قوله تعالى: ﴿لَا يُضِيعُ﴾ أي: بوجه من الوجوه، ﴿أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ بصيغة اسم الفاعل للمجموع، أي: العريقين في وصف الإحسان، بحيث إنهم يعبدون الله كأنهم يرونه، بما في الاجتماع ما ليس في الانفراد، فذلك يهون عليهم الصَّبْر؛ لأنَّ الطَّاعَةَ كُلَّهَا فَلَا تَكُونُ إِلَّا بِالصَّبْرِ، وكلُّ ما عداها فهو هوى نفس لا صَبْرَ فيه، فالدين كله صَبْرٌ، «حُفَّتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ، وَحُفَّتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ»⁽⁴⁾، ولذا فَضِّلْ ثَوَابُ الصَّابِرِ: ﴿إِنَّمَا يُوفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾⁽⁵⁾.

قَضَدُ العدول
مَنْ المضمَرات
إلى المَظَاهِر،
لمقتضى إقامة
الحجج

الدَّلالة على
علو الكعب، في
مراتب الإحسان

الاعتبار بأهل
الإحسان، في
تحقيق مناسبات
الصَّبْر والسَّلاوَن

(1) الطَّبَّي، فتوح الغيب: 8/225. والحديث أخرجه مسلم في صحيحه برقم: (9)، عن أبي هريرة.

(2) القونوي، حاشيته على تفسير البضاوي: 10/232.

(3) البقاعي، نظم الدرر: 9/396.

(4) أخرجه مسلم في صحيحه، برقم: (2822)، والترمذي في سننه، برقم: (2559)، عن أنس بن مالك ﷺ.

(5) البقاعي، نظم الدرر: 9/396.

عنوان الكتاب:

موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثاني والعشرون، سورة هود من الآية 115 إلى سورة يوسف الآية 55
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

*

التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

سنة الطبع: 1445هـ - 2024م

© حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي

الطبعة الأولى: 2024م

*

الفهرسة الوصفية أثناء النشر:

مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366

م. ق. ت

التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثاني والعشرون، سورة هود من الآية 115 إلى سورة يوسف الآية 55
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة: منشورات القاسمي، 2024.

مج. 22، 812 صفحة؛ 24x17 سم.

ردمك: 978-9948-768-19-7

يشتمل على إرجاعات بيبليوجرافية.

مج. 22: المجلد الثاني والعشرون، سورة هود من الآية 115 إلى سورة يوسف الآية 55.

1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-

ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).

قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي: 978-9948-768-19-7

*

إذن طباعة رقم: MC-03-01-3382819 بتاريخ 2024/02/13م،

مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة

*

الفئة العمرية: E

«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري

الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»

*

الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE

الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»